261 - ـ فصل : إنما يتعثر من لم يخلص .

تفكرت في سبب هداية من يهتدي و إنتباه من يتيقظ من رقاد من رقاد غفلته فوجدت السبب الأكبر كاختبار الحق D لذلك الشخص كما قيل : إذا أرادك لأمر هيأك له .

فتار تقع اليقظة بمجرد فكر يوجبه نظر العقل فيتلمح الإنسان وجود نفسه فيعلم أن لها صانعا و قد طالبه بحقه و شكر نعمته و خوفه عقاب مخالفته و لا يكون ذلك بسبب ظاهر .

و من هذا ما جرى لأهل الكهف : { إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات و الأرض } .

و في التفسير : أن كل واحد منهم ألقى في قلبه يقظة فقال : لا بد لهذا الخلق من خالق فاشتد كرب بواطنهم من وقود نار الحذر فخرجوا إلى الصحراء فاجتمعوا عن غير موعد .

فكل واحد يسأل الآخر : ما الذي أخرجك ؟ فتصادقوا .

و من الناس من يجعل الخالق سبحانه و تعالى لذلك السبب الذي هو الفكر و النظر سببا ظاهرا إما من موعظة يسمعها أو يراها فيحرك هذا السبب الظاهر فكرة القلب الباطنة ثم ينقسم المتيقظون فمنهم من يغلبه هواه و يقتضيه طبعه ما يشتهي مما قد إعتاده فيعود القهقرى و لا ينفعه ما حصل له من الإنتباه فإنتباه مثل هذا زيادة في الحجة عليه .

و منهم من هو واقف في مقام المجاهدة بين صفين : العقل الآمر بالتقوى الهوى المتقاضى بالشهوات .

فمنهم من يغلب بعد المجاهدات الطويلة فيعود إلى الشر و يختم له به و منهم من يغلب تارة و يغلب أخرى فجراحاته لا في مقتل .

و منهم من يقهر عدوه فيسجنه في حبس فلا يبقى للعدو من الحيلة إلا الوساوس .

و من الصفوة أقوام مذ تيقظوا ما ناموا و مذ سلكوا ما وقفوا فهمهم صعود و ترق .

كلما عبروا مقاما إلى مقام رأوا نقص ما كانوا فيه فاستغفروا و منهم من يرقى عن الإحتياج إلى مجاهدة إما لخسة ما يدعو إليه الطبع عنده و لا وقع له و إما لشرف مطلوبه فلا يلتفت إلى عائق عنه .

و اعلم أن الطريق الموصلة إلى الحق سبحانه ليست مما يقطع بالأقدام إنما يقطع بالقلوب .

و الشهوات العاجلة قطاع الطريق و السبيل كالليل المدلهم .

غير أن عين الموفق بصر فرس لأنه يرى في الظلمة كما يرى في الضوء .

و الصدق في الطلب منار أين وجد يدل على الجادة و إنما يتعثر من لم يخلص .

و إنما يمتنع الإخلاص ممن لا يراد فلا حول و لا قوة إلا با